

عندما يأتي المساء



عندما يأتي المساء.. نتنفس الصعداء.. وندخل عالماً آخر.. عالماً على رغم هدوئه يقتلنا بصمته.. ننتظره كل يوم بفارغ الصبر لنخلد إلى الراحة فيه.. ونعتبره الصديق الوحيد الذي نبثه همومنا.. ونراجع فيه أنفسنا.. مع كل هذا فهو صديق مخادع، كثيراً ما يبت الخوف والمواجع.. كثيراً ما يذكرنا بماض تعيس نحاول نسيانه.. أو لحظات سعيدة رمم عليها الزمن بنيانه.. فعلى رغم هدوئه الشكلي فإن مضمونه يحوي الكثير.. والكثير من الهموم والآلام.. مرات كثيرة تساءلت مع نفسي لماذا يبدو هذا المساء كئيباً؟ هل هو يتخذ من لونه معنى لنفسه.. أم أن هناك تناقضاً بينه وبين لونه؟! حاولت مراراً أن يمر هذا المساء من دون أن يذكرني بماض تعيس أو لحظة سعيدة، ولكن أبى المساء ذلك.

نوال مهيوب

منذ أيام عاودني الحنين إلى قلبي الذي أحب، فأردت أن أرمق هذا المجتمع، وأسطر الأحداث كما هي، فقممت بزيارة إلى بعض المرافق الحكومية، ومن بين تلك الزيارات ذهبت إلى دار يقال لها «دار المسنين». واتجهت إلى إحدى الغرف القريبة، طرقت الباب، ولجته مشفقة على من في الداخل، فإذا بعجوز دامعة العينين، تخنقها آهات تسعين من الزمن. جلست بالقرب منها، وقلت لها: حديثني عما يجيش في نفسك من ألم، حديثني ولا تنزفي هذه الدموع الحزينة.

بقيت واجمة ولم تتحدث، فانتظرت ملياً... وبعد ذلك نطقت وردّ قلبي صداها يكتب ويقول:

ما أجمل الليل! يحمل في سكونه وهدوئه جمال الطبيعة، ويؤنس قلب عجوز حزينة، بكت دماً من شدة المصيبة، ودائماً تتذكر في هذا الليل الطويل من احتضنته صغيراً، وكان في المهدي بريئاً، تعبت وذاقت المرحلوأ من أجله، تمنيت أن يكبر وترى فيه ذاك الأمل، ترعرع شيئاً فشيئاً، وأصبح رجلاً، نسي ذاك المعروف، وأصبحت أمه نسياً منسياً. وقف على قدميه شامخاً، وأخذ أمه ووضعها في «دار المسنين».

لقد أخطأنا عندما قلنا «دار» ليتنا قلنا عالماً يضم عبرات حزينة، يضم حرقة قلوب رحيمة، وممن يا ترى؟! من فلذات الأكباد.

أيها الطير أمازلت صداحاً، ارفع الصوت بالأهازيج والغناء، علك تحرك مشاعر الأبناء.

علك تضمم جراح الأمهات والآباء، ما الذي يدفع هذا الابن حتى يلقي بأمه في تلك الدار؟!

نوير العنزي

بزاز سنار

٩٢

الأدب الإسلامي

المجلد الثامن - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١

أقلام وصدرة